التاريخ
والآثار
المصرية
والإسلامية

علاقة الكويت بالدولة العثمانية

"منذ النشأة حتى عام ١٢٨٩هـ /١٨٧٢م"

د. فيصل عبد الله الكندري
قسم التاريخ
كلية الآداب - جامعة الكويت

المقدمة

تكمن أهمية الوثائق العثمانية في توضيح علاقة الدولة العثمانية بالمناطق والشعوب التي وقعت تحت سيطرتها، وهذه العلاقة لا تستطيع أن توضحها دور الأرشيفات الغربية لأنها لا تعطي الصورة الصحيحة لما كانت عليه حقيقة الأوضاع.

ومن هنا تأتي هذه الدراسة لتتناول طبيعة علاقة الكويت بالدولة العثمانية منذ ظهور الإمارة وحتى عام ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م وهي السنة التي انتهت فيها فترة ولاية مدحت باشا على العراق، واعتمدنا في هذه الدراسة على بعض الوثائق المتعلقة بالكويت والموجودة في أرشيف رئاسة الوزراء باستنبول.

Basbakanlik Devlet Arsivleri, Genel Müdürlügü (BDA)- Istanbul

ضمن تصنيف خاص يعرف باسم دفاتر العينيات Ayniyat، وهي عبارة عن سجلات قيدت فيها السلطات العثمانية صورة طبق الأصل من جميع المكاتبات والأمور التي تم تحريرها في دائرة الصدارة العظمى إلى مختلف النظارات (الوزارات) والدوائر والولايات وغيرها من المواقع الرسمية، ويوجد في سجلات العينيات مسودات لأغلب الوثائق الموجودة في سجلات أرشيف غرفة أوراق الباب العالي BAO، ويبلغ إجمالي عدد السجلات١٧١٧ سجلا أو دفترا، وهي مقسمة في مجملها على حسب المناطق. وهناك خمسة سجلات خاصة بولايتي بغداد والبصرة[1]، والسجل الذي يعنينا هنا هو السجل رقم ٨٥١ الذي يتعلق بالأوامر الصادرة من تاريخ ١٧ ربيع الأول ١٢٨٣- ١٥صفر ١٢٩٥هـ/٩ أغسطس ١٨٦٥-٢٣مارس ١٨٧٥م.

ونظرا لما تحويه تلك الوثائق من معلومات جديدة حول طبيعة علاقة الكويت بالدولة العثمانية ولاسيما خلال فترة ولاية مدحت باشا على بغداد (١٢٨٦-١٢٨٩هـ/ ١٨٦٩-١٨٧٢م) رأينا أن نخصص هذه الدراسة لمعالجة هذه المسألة

[1] BDA , Basbakanlik Osmanli Arsivi Rehberi,2baski,Istanbul,2000, s 2002-209

مقارنة بوثائق الحملة العثمانية على الأحساء لعام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م الموجودة في أماكن أخرى من الأرشيف العثماني ولاسيما مجموعة الإرادات الداخلية.

وتنقسم هذه الدراسة إلى ثلاثة أقسام يتعلق القسم الأول بعلاقة الكويت بالدولة العثمانية منذ قدوم العتوب إلى الكويت وحتى عام ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م، وهو العام الذي تولى فيه مدحت باشا ولاية بغداد وحاول بعدها أن يغير علاقة الكويت بالدولة العثمانية. موضحين فيه أهم العوامل التي دفعت العتوب إقامة علاقات حسنة مع الدولة العثمانية على إمارتهم الناشئة مع ذكر أهم العوامل التي دلت على استقلالهم الفعلي عن سيادتها.

أم القسم الثاني فيتناول علاقة الكويت بالدولة العثمانية خلال الفترة الممتدة من عامي ١٢٨٣-١٢٨٩هـ/ ١٨٦٦-١٨٧٢م موضحين فيه جهود نامق باشا لخلق إدارة قوية وفاعلة في الكويت. ومبينين دور الكويت في الحملة العثمانية على الأحساء لعام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م، وشيرين إلى المشاركات الكويتية في تلك الحملة، وأهمية تلك المساهمات في إنجاح الحملة.

أما القسم الأخير فيوضح أهم التغييرات والمكاسب التي حققتها الكويت من خلال تلك المشاركة.

علاقة الكويت بالدولة العثمانية منذ النشأة وحتى عام ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م

عند قدوم العتوب[٢] إلى الكويت في بدايات القرن السابع عشر الميلادي[٣] سعوا إلى تأمين مركزهم بإقامة علاقات طيبة مع الدولة العثمانية، فأوفدوا زعيمهم صباح بن جابر إلى الوالي العثماني في بغداد للحصول على دعم وتأييد

---

٢ العتوب: هم اتحاد عشائري ضم آل الصباح والجلاهمة وآل الخليفة، هاجروا من موطنهم الأصلي في إقليم الهدار بنجد إلى منطقة الخليج، وانتهى بهم المقام في الكويت، وعرفوا بالعتوب نسبة إلى فعل عتّب بسبب كثرة التنقل والترحال.

٣ هناك اختلاف كبير بين المؤرخين حول بدايات تأسيس العتوب وهجرة العتوب إلى الكويت، وقد ناقش الدكتور يعقوب يوسف الغنيم هذه المسألة بالتفصيل وللوقوف على رأيه انظر: يعقوب الغنيم، الكويت تواجه الأطماع، الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، ١٩٩٨، ص١٣-٦٠.

الدولة، وتعهدوا بحفظ الأمن والسلام في المنطقة. ووافق العثمانيون على ذلك شريطة عدم القيام بغارات على القوافل المارة في طريقهم[٤].

ونلاحظ هنا أن العتوب أرادوا العيش بسلام في منطقهم الجديدة، وهذا راجع لعدة أسباب:

١. تحقيق نوع من التوازن بين القوتين المحيطتين بهما وهما: بنو خالد[٥] الذين كانوا يسيطرون على الأحساء والقطيف، خاصة وأن الكويت كانت تدخل في دائرة نفوذهم. والدولة العثمانية التي كانت تسيطر على البصرة وبغداد، وقصد العتوب من ذلك أن يتحاشوا الوقوع تحت سيطرة أي من القوتين.

٢. حرص حكام الكويت على إضفاء الشرعية على حكمهم، وعلى كيانهم السياسي المولود حديثا بكسب تأييد الدولة العثمانية ومساندتها كونها الدولة الإسلامية الكبرى.

٣. عدم تخوف شيوخ الكويت من تطور هذه العلاقة لصالح الدولة العثمانية بسبب حالة الفوضى والاضطراب التي كان يعاني منها العراق العثماني[٦]، هذا بالإضافة إلى حصار بلاد فارس للبصرة واحتلالها خلال الأعوام ١٧٧٦-١٧٧٩م مما أضعف الوجود العثماني[٧].

كما أكدت الكويت استقلالها عن الدولة العثمانية، فقامت بتقديم الدعم العسكري إليها في صراعها مع بعض القوى الأخرى كفارس والمشيخات

---

٤ د. ميمونة خلوفة الصباح، الكويت تاريخ وحضارة ١٦١٣-١٨٠٠م، جـ١، ط٣، د.م، ٢٠٠٠، ص٩١.

٥ بنو خالد: كان لهم السيادة في شرق الجزيرة العربية في المنطقة الواقعة ما بين الكويت وحتى عمان، وانتهى حكمهم على يد الدولة السعودية الأولى عندما وجهوا لهم عدة ضربات خلال الفترة ما بين ١٧٩٣-١٧٩٥م، وسيطر بعدها السعوديون على الأحساء.

٦ د. ميمونة خلوفة الصباح، المرجع السابق، ص١٩٥.

٧ أحمد الرشيدي وآخرون، الكويت من الإمارة إلى الدولة، ط٢، الكويت: دار سعاد الصباح، ١٩٩٣، ص١٠٢-١٠٣؛ ج ج لوريمر، دليل الخليج العربي: القسم التاريخي، جـ٣، قطر، د.ت، ص١٥٠٣.

العربية في منطقة الخليج العربي كالوهابية وعرب بني كعب[٨].

وثمة حوادث وقعت تدل على استقلال الكويت عن الدولة العثمانية وهي:

١- اعتماد أهالي الكويت على أنفسهم في الدفاع عن مشيختهم ضد الهجمات التي تعرضوا لها من قبل قبائل بني كعب والمنتفك في جنوب العراق، ولم ترسل الدولة العثمانية جنديا واحدا ليساعد أهالي الكويت في ذلك، وإنما كانوا يعتمدون على قوتهم الذاتية.

٢- كانت الكويت ملجأ للفارين من وجه السلطات العثمانية في كل من بغداد والبصرة، ومن ذلك لجوء مصطفي آغا متسلم البصرة وأخوه معروف آغا، وكذلك لجوء الشيخ ثويني شيخ قبيلة المنتفك[٩] إلى الكويت عام ١٧٨٧م، وطلب الأخوان منه الحماية، بعد أن فشلا في تمردهما ضد الدولة العثمانية حين قام الأول بمحاولة لفصل البصرة عن بغداد[١٠]، فقام والي بغداد بصد المحاولة، وطالب والي بغداد بتسليمهما، ولكن شيخ الكويت رفض ذلك[١١].

٣- قرار بريطانيا بنقل الوكالة التجارية لشركة الهند الشرقية من البصرة إلى الكويت خلال عامي ١٧٩٣-١٧٩٥م بعد ظهور الخلافات بين الشركة والسلطات العثمانية[١٢]، وهذا دل على أن هذا الاستقلال الذي كان يتمتع به حاكم الكويت هو الذي شجع البريطانيين على نقل الوكالة إلى الكويت لمدة

---

٨ بنو كعب: وهم عرب يرجعون في أصولهم إلى نجد، هاجروا إلى منطقة الأفشار بالعراق في القرن السابع عشر الميلادي، وأخذت قوتهم تزداد مع مرور الوقت، ونشب خلاف بينهم وبين الدولة العثمانية فطلبت منهم المغادرة، وتوجهوا إلى بلاد فارس، واستولوا على مدينة الدورق، وأطلقوا عليها اسم الفلاحية، وتمكن الكعبيون من بناء أسطول لهم ساعدهم على مد سيطرتهم على المناطق المجاورة للدورق.

٩ المنتفق أو المنتفك: وهو اتحاد عشائري ضم العديد من العشائر التي تقطن جنوب غربي العراق، تولى آل السعدون زعامة هذا الاتحاد لسنوات طويلة.

١٠ د. ميمونة خليفة الصباح، المرجع السابق، ص٢١٦.

١١ أحمد الرشيدي وآخرون، المرجع السابق، ص١٠٤.

١٢ د. ميمونة خليفة الصباح، المرجع السابق، ص٢٢٦.

سنتين وبالتحديد من ٣٠أبريل ١٧٩٣ ولغاية ٢٦أغسطس ١٧٩٥م[١٣].

٤- ترحيب أمير الكويت بمندوب خورشيد باشا قائد القوات المصرية الذي وصل إلى سواحل الأحساء عام ١٨٣٨م، وساهمت سفينة كويتية في نقل الذخيرة والعتاد من ميناء الحديدة إلى القوات المصرية التي تحاصر القطيف في نوفمبر عام ١٨٣٩م[١٤].

٥- ومما يؤكد استقلال الكويت عن الدولة العثمانية قيام حاكم الكويت الشيخ جابر بإرسال ابنه الشيخ صباح لتوقيع إتفاقية مع بريطانيا في عام ١٨٤١م، وفيها طلبت بريطانيا من شيخ الكويت جابر بن عبد الله (١٨١٣-١٨٥٩م) أن ينضم إلى اتفاقيات الهدنة التي ابرمتها مع شيوخ إمارات الخليج، ونظرا لأهمية تلك الإتفاقية نري بأن نوردها كاملة في الملاحق، وفيها تعهد حاكم الكويت بالمحافظة على أمن البحار، وعدم التعرض والدخول في حرب مع المشايخ العرب ممن وقعوا إتفاقيات مع بريطانيا، وأنه في حالة تعرضه للعدوان من قبل أحدهم ، فإنه لا يقوم بالانتقام لنفسه، وإنما يرفع الأمر إلى السلطات البريطانية في الخليج، لتقوم بمعاقبة المسيئ، وذلك من غرة ربيع الأول ١٢٥٧هـ/ ٢٣أبريل ١٨٤١م ولمدة سنة كاملة[١٥].

ولو تساءلنا عن الدوافع التي دفعت الشيخ جابر لتوقيع هذه الإتفاقية لرأينا أن تدهور الوضع السياسي في منطقة الخليج العربي بسبب إحتدام النزاع بين الدولة العثمانية وإيران، وخشية بريطانيا من أن يؤدي ذلك الملاحة في منطقة الخليج، ويؤثر سلباً على نشاط السفر البحري وتجارة الغوص على اللؤلؤ، فدعت بريطانيا لتكوين حلف بين دول المنطقة يضمن استقرارها، ويحافظ على أمنها، ويجنب أصحاب السفن التعرض للمخاطر الناجمة عن تلك النزاعات.

---

١٣ ج ج لوريمر، المصدر السابق، جـ٣، ص١٥٠٧؛ أحمد الرشيدي وآخرون، المرجع السابق، ص٤٧.
١٤ ج ج لوريمر، دليل الخليج العربي: القسم التاريخي، جـ٣، قطر، دت، ص١٥١٤.
[15] Kuwait Political Agency, Arabic Documents, Archive Edition, 1994, p580(R.15.5.59).

وتكشف هذه الاتفاقية عن أن الكويت كانت تتمتع باستقلال القرار السياسي عن حكومة الباب العالي في استانبول، وكان لحاكمها الحق في إبرام دون أخذ موافقة مسبقة من الدولة العثمانية. كما أشارت الاتفاقية إلى حرص الكويت على استتباب الأمن في منطقة الخليج، لذا لم تتورط السفن الكويتية في أعمال القرصنة، ولا في الاعتداء على سفن وممتلكات الآخرين[١٦].

كما تكشف تلك الإتفاقية عن أن شيخ الكويت حرص على عدم التورط فيث اتفاقيات طويلة المدى بدليل أنه وقعها لسنة واحدة فقط. وإن توقيع هذه الإتفاقية لا يخرج عن رغبة شيخ الكويت لإقامة علاقات حسنة مع بريطانيا وغيرها من القوى الموجودة في المنطقة.

وفي الوقت نفسه حرص شيخ الكويت على تدعيم علاقته بالدولة العثمانية وقام برفع العلم العثماني على مقره بإضافة كلمة الكويت على أحد جوانبه[١٧]، كما رفع العلم العثماني على سفنه لضمان أمنها في عرض البحر. وفي المقابل ألزمت السلطات العثمانية الكويت بدفع جزية سنوية تمثلت في كميات من الأرز والتمر تقدمها لوالي بغداد[١٨].

ولكن هذا الوضع لم يستمر طويلاً إذ سرعان ما طلبت الدولة العثمانية دعم الكويت ومساندتها في صراعاتها مع القوى المحلية. فقدمت الكويت الدعم العسكري لمساعدة متسلم البصرة عندما أغارت عليه قبائل بني كعب وحاصرته عام ١٨٣١م، ففر المتسلم واستنجد بشيخ الكويت فأرسل الأخير السفن المحملة بالسلاح والعتاد، فاستعاد سيطرته على البصرة.

١٦رسالة الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، العدد٧، يونيو ٢٠٠٤م، ص٨.
١٧ د. ميمونة خليفة الصباح، المرجع السابق، ص٢١٣.
١٨ أحمد الرشيدي وآخرون، المرجع السابق، ص١٢٣. ويشرح لنا لوريمر ما يدفع شيخ الكويت للدولة العثمانية خلعة سنوية. ج ج لوريمر، دليل الخليج العربي: القسم التاريخي، جـ٣، قطر، دت، ص١٥١٢.

الموجودة في البصرة للقضاء على تمرد سكان الزبير. كما تمكنت القوات العثمانية من استعادة المحمرة من بني كعب في عام ١٨٣٧م بفضل المساعدات الكويتية[١٩].

وفي عام ١٨٥٤م طلبت السلطات العثمانية من شيخ الكويت أن يتولى حماية ميناء البصرة وذلك بعد أن أيقنت الدولة من قوة الكويت البحرية، وذلك مقابل راتب سنوي يدفع له من خزانة الولاية[٢٠]. وهنا انقلب الوضع رأسا على عقب فبعد أن كانت الكويت تدفع للدولة العثمانية، أصبحت الأخيرة تدفع للكويت نظير قيامها بحماية ميناء البصرة.

ومن هنا رأينا أن اتجاه الكويت للدولة العثمانية لم يكن إلا إجراء شكليا اقتضته المصلحة السياسية للكويت، فأقام شيخ الكويت علاقات حسنة مع الدولة العثمانية لتحاشي وقوع الكويت تحت سيطرة أي من القوى المحلية التي كانت ترغب في السيطرة عليها. وكذلك للابتعاد عن الأطماع البريطانية التي كانت تتجه إلى الكويت، فحين أدرك شيوخ الكويت عجزهم عن محاربة بريطانيا، رأوا أن أفضل طريقة لتحاشي الوقوع تحت النفوذ البريطاني هو إقامة علاقات مع الدولة العثمانية، وبرزت هنا أهمية الاتجاه على الجانب العثماني للوقوف في وجه بريطانيا.

ويؤكد استقلال الكويت عن الدولة العثمانية خلال هذا الوقت مجموعة من الأدلة فلم تدفع الكويت أية رسوم، ولم يكن هناك موظفون عثمانيون، ولا حاميات أو مراكز عسكرية عثمانية، هذا فضلاً عن تصرف الكويت باستقلالية تامة في شؤونها الداخلية وعلاقاتها الخارجية. وهكذا نشأت علاقة وطيدة بين الجانبين عادت بالنفع على الطرفين.

---

١٩ د. ميمونة خليفة الصباح، المرجع السابق، جـ١، ص٢١٤.
٢٠ أحمد الرشيدي وآخرون، المرجع السابق، ص١١٠.

علاقة الكويت بالدولة العثمانية خلال الفترة ١٢٨٣-١٢٨٩هـ/ ١٨٦٦-١٨٧٢م

فكرت الدولة العثمانية في إقامة حكومة مركزية قوية لفرض هيبة الدولة في مختلف ولاياتها، وبدأت بتطبيق هذه السياسة منذ أن تولى نامق باشا ولاية بغداد (٦٦-١٨٦٩م) فأراد نائق باشا أن يقبل شيخ الكويت بلقب قائم مقام، وأن ينشئ مركزاً عثمانياً في الكويت لتحصيل الجمارك، ولكن شيخ الكويت رفض هذين الطلبين، ويقال أن نامق باشا فكر في غزو الكويت نظراً لازدياد النفوذ البريطاني فيها، فطلب الشيخ من بريطانيا ألا ترسو سفنها في ميناء الكويت[٢١]، واكتفى برفع العلم العثماني على قصره، وعلى السفن الكويتية دون رفع أي رسوم للدولة العثمانية.

وتشير الوثائق العثمانية الموجودة في سجل العينيات الصادرة بتاريخ ٢٣محرم ١٢٨٤هـ/ ٢٧مايو ١٨٦٧م والمتعلقة بهذه المسألة إلى أن السلطات العثمانية قررت إقامة مكتب جمركي في الكويت، وتم إرسال قوائم بالرسوم وختم جمركي إلى شيخ الكويت كي يدير هذا المكتب بمعرفته، ولكن لوحظ القيام ببعض الأعمال المخالفة للأنظمة المعمول بها في الدولة العثمانية بسبب جهلهم بقواعد ونظم الجمارك، وأرسلت مذكرة من أمانة الرسوم في بغداد بضرورة إرسال موظف عثماني إلى هناك للإشراف على إدارة أمور المكتب[٢٢].

وتضيف تلك الوثائق بان السلطات العثمانية قررت إرسال موظف عثماني إلى الكويت براتب قدره ألف قرش ليشرف على تحصيل الرسوم على الحيوانات التي تخرج من أراضي الدولة العثمانية وخاصة من البصرة إلى الدول المجاورة عن طريق الكويت دون دفع رسوم عليها، وقررت أيضاً تعيين كاتب براتب قدره خمسمائة قرش، كما أرسلت إلى شيخ الكويت تعريفة الرسوم والتعليمات، ولكن الشيخ لم يقبل بإقامة المكتب بحجة أن الأهالي لم يوافقوا على إقامة المكتب الجمركي.

---

٢١ ج ج لوريمر، دليل الخليج العربي: القسم التاريخي، جـ٣، قطر، دت، ص١٥٢٠.

[22] BDA, Ayniyat 851, s26 no2.

وأشارت الوثيقة إلى ضرورة إرسال قوة عسكرية إلى الكويت في حالة إصرار الشيخ على موقفه، ولكن بعد مراجعة ذوي الاختصاص رأى الساسة العثمانيون ضرورة تأجيل النظر في هذا الموضوع وذلك في ٢٢ من جمادي الآخرة ١٢٨٤هـ/ ٢١من أكتوبر ١٨٦٧م[٢٣].

ونستشف من تلك الوثائق أن الوالي نامق باشا نجح أخيراً في كسب تأييد حاكم الكويت الشيخ عبد الله الثاني[٢٤]، كما صادف ذلك رغبة الشيخ في إقامة علاقات ودية مع الدولة العثمانية باعتبارها دولة إسلامية وهو ما يعطي الكويت بعداً إسلامياً، فقبل الشيخ برفع العلم العثماني رمزاً للإسلام وللهوية الإسلامية.

وربما كان ذلك دافعاً لدى السلطات العثمانية إلى استبعاد فكرة إرسال جيش إلى الكويت لإجبار حاكمها على قبول فتح المكتب الجمركي، ولعدم رغبة الدولة العثمانية في تحقيق مزيد من العداوات في منطقة الخليج، وحتى لا تصطدم الدولة العثمانية بالإنجليز بالذين أخذوا يحاولون السيطرة على منطقة الخليج بجدية كبيرة منذ مطلع القرن التاسع عشر الميلادي.

لذا كان على الدولة العثمانية ان تتصرف بحذر شديد وأن تنتظر الوقت الملائم لتحول وجودها الإسمي في منطقة الخليج العربي إلى واقع فعلي، وأخذت تتحين الفرص لذلك،وتتابع الأوضاع في شبه الجزيرة العربية لعلها تجد ضالتها.

وحدث لها ذلك حين بدأت المنطقة تشهد مرحلة اضطرابات وفتن بعد وفاة الإمام فيصل بن تركي المؤسس الحقيقي للدولة السعودية الثانية في عام ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م، والذي خلف أربعة أبناء هم عبد الله وسعود ومحمد وعبد الرحمن تصارعوا فيما بينهم ، فبدأت الدولة السعودية الثانية تشهد حرباً أهلية

---

[23] BDA, Ayniyat 851, s27 no2.

٢٤ الشيخ عبد الله الصباح: وهو خامس حكام الكويت، حكم خلال الفترة ما بين ١٢٨٣-١٣٠٩هـ/ ١٨٦٦-١٨٩٢م.

حين خرج سعود على سلطة أخيه عبد الله بعد عام واحد من وفاة والده، وأخذ ينافسه في السيطرة على مدن نجد والأحساء، ونجح سعود في انتزاع مدن الأحساء ونجد من أخيه عبد الله. فأخذ الأخير يجوب المنطقة بحثا عن حليف قوي، وداعم يستطيع الاتكال عليه ليستعيد ملكه من أخيه سعود، ولم يكن أمامه إلا الاتصال بالوالي العثماني في بغداد ليقدم له المساعدة المطلوبة والعون المنشود[٢٥].

الكويت والحملة العثمانية على الأحساء عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م

ولما جاء مدحت باشا[٢٦] واليا على بغداد (١٨٦٩- ١٨٧٢م) خلفا لنامق باشا، نجح في إقناع الحكومة العثمانية بضرورة استغلال النزاع الدائر بين

---

٢٥ لمزيد من المعلومات حول أوضاع الجزيرة العربية وللاطلاع على الوثائق العثمانية المتعلقة بالحملة العثمانية راجع:د. فيصل الكندري، الحملة العثمانية على الإحساء عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م من خلال الوثائق العثمانية، جامعة الكويت: إصدارات مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية، الكويت، ٢٠٠٣، ص٢٣ وما بعدها.

٢٦ ولد مدحت باشا في استانبول في صفر ١٢٣٨هـ/ اكتوبر- نوفمبر١٨٢٢م، وسمي بأحمد شفيق، حفظ القرآن في سن مبكرة للقب بحافظ شفيق، وأعطي لقب مدحت بسبب مواهبه العالية، فطغى هذا اللقب على اسمه وصار يعرف به. تعلم اللغة العربية والفارسية في صغره في جامع الفاتح. ثم تعلم بعد ذلك اللغى الفرنسية، وكان هذا بداية اطلاعه على أوروبا وأمورها. وفي عام ١٨٥٩ أصبح مدحت رئيس سكرتارية المجلس الأعلى. وعام ١٨٦٤ عين واليا على طونه (الدانوب) وهي ولاية جديدة ظهرت ضمن تشكيلات ايالة سلستر، وقام بالعديد من الإصلاحات هناك كانت سببا في انتشار صيته ورفعة مكانته عند الساسة العثمانيين. وفي ٢٧فبراير ١٨٦٩م نقل واليا على مدينة بغداد وأظهر هناك مجددا قدرة كبيرة على الإدارة، ونجح في إعادة الهيمنة العثمانية على نجد. إلا أنه اصطدم مع الصدر الأعظم الجديد محمود نديم باشا حول ايرادات الولاية فقدم استقالته، وعاد إلى استانبول في مايو ١٨٧٢. ولم يتركه نديم باشا في استانبول فعينه واليا على أدرنه. ولكن سرعان ما عينه السلطان عبد العزيز صدرا أعظم خلفا لنديم باشا في عام ١٨٧٢م، إلا أن فترة صدارته الأولى لم تستمر أكثر من ٨٠يوما. وهنا بدأت الأفكار الديمقراطية تغزو الدولة العثمانية، فكان مدحت أحد رواد التغيير فيها، وأخذ يطالب بفكرة إيجاد دستور للدولة. وعندما جاء السلطان عبد الحميد الثاني قام بتعيين مدحت باشا صدرا أعظم للفترة الثانية في ١٩ ديسمبر ١٨٧٦م. وأظهر السلطان تجاوبا مع رواد الإصلاح ووافق على الدستور الذي لعب مدحت باشا دورا بارزا في إعداده، فأعلن الدستور في ٢٣ديسمبر، لذا عرف مدحت باشا بأبي الدستور. ولكن فرحة مدحت باشا لم تكتمل حيث أن فترة صدارته لم تستمر أكثر من ٢٩يوما ليعزل، وعين مدحت باشا واليا على سوريا في عام ١٨٧٨م، وعزل مدحت باشا بعد سنتين. ثم فتحت الدولة ملف اغتيال السلطان عبد العزيز وأتهم مدحت باشا مع سبعة من رفاقه بقتل السلطان عبد العزيز، وصدر حكم الإعدام بحقهم، ولكن السلطان عبد الحميد خفف

الأخوين عبد الله[٢٧] وسعود[٢٨] أبناء الإمام فيصل بن تركي[٢٩] لإعادة هيمنة الدولة على نجد والأحساء ولا سيما أنهما خرجتا عن سيطرة الدولة المباشرة منذ قيام الدولة السعودية الأولى التي سيطرت على نجد وشرقي الجزيرة والحجاز وعسير.

ولخذ مدحت باشا يستعد لتجهيز حملة عسكرية لإعادة سيطرة الدولة العثمانية على شرقي شبه الجزيرة العربية، ووضع خطة محكمة لتسهيل عمل الحملة، وتركزت تلك الخطة في الإعداد الجيد، وتجهيز عدد كبير من القوات العثمانية، وإشراك عدد لابأس به من شيوخ وزعماء العشائر والقبائل العربية لتقف بجانب القوات العثمانية حتى لا تبدو وكأنها حرب بين الأتراك والعرب، فكل تلك العوامل ساعدت في حسم أمر المعركة لصالح العثمانيين، لذا أخذت مدن وقرى الأحساء تستسلم واحدة بعد الأخرى للقوات العثمانية، ولم تبد مقاومة تذكر، ودون أن تتكبد الدولة العثمانية خسائر وتضحيات كبيرة.

كانت مشاركة الكويت في هذه الحملة عاملاً رئيسياً في حسم نتائج المعركة لصالح العثمانيين، حيث ساهمت الكويت بأسطول بحري بلغ قوامه قرابة مائة سفينة، وقام هذا الأسطول بنقل المعدات والقوات العثمانية من جنوب العراق إلى

الحكم إلى السجن المؤبد لمزيد من المعلومات حول سيرته انظر إلى مذكراته المنشورة في كتاب:

علي حيدر بك، مدحت باشا: حياته- مذكراته- محاكمته، ترجمة: يوسف كمال بك حتاته وصديق الدملوجي، ط١، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٢. لمزيد من المعلومات حوله انظر:

R.H. Davison, "MIDHAT PASHA", The Encyclopaedia of Islam2, Leiden, 1991, Vol VI, pp. 1031-1035.

٢٧ عبد الله الفيصل: وهو أكبر أبناء الإمام فيصل بن تركي، وهو الحاكم الشرعي للدولة السعودية الثانية.

٢٨ سعود الفيصل: وهو ثاني أبناء الإمام فيصل بن تركي، خرج على سلطة أخيه عبد الله بعد عام واحد من مبايعته له، وحارب أخاه في أكثر من موقعة حتى انتصر عليه، توفي في الرياض عام ١٢٩١هـ/ ١٨٧٥م.

٢٩ الإمام فيصل بن تركي: يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة السعودية الثانية، واستطاع أن يستعيد أمجاد أسلافه ويسيطر على نجد والبحرين وقطر وعمان، توفي في عام ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م.

راس ثورة بقيادة شيخ الكويت عبد الله الصباح، كما شاركت فعليا في حصار مدينة القطيف[٣٠]. فضلا عن أن الكويت كانت نقطة لتجمع القبائل العربية التي قررت أن تشارك بقوات برية في الحملة، وعندما اكتمل تجمع القوات خرجت من الكويت، وشاركت الكويت بقوة برية بقيادة الشيخ مبارك الصباح[٣١] أخو الحاكم.

ولم تقف المشاركة الكويتية عند هذا الحد وإنما كشفت لنا الوثائق العثمانية عن الدور الحيوي الذي لعبه الشيخ عبد الله الصباح كوسيط في المفاوضات مع أمراء المدن من أنصار سعود الفيصل هذه التي كثيرا ما كانت تنتهي باستسلامهم للقوات العثمانية دون قتال. كما استخدم الشيخ عبد الله الصباح دبلوماسيته في إقناع حاكم قطر الشيخ جاسم آل ثاني[٣٢] بالانضمام تحت اللواء العثماني مما ساعد على مد النفوذ العثماني إلي شبه جزيرة قطر[٣٣].

هذا، وقد لعبت الكويت دور الوسيط في إيصال التعليمات من مركز الولاية في بغداد إلى ساحات القتال في الأحساء، وفي نقل الأخبار من الأحساء إلى البصرة التي كانت بدورها ترفعها إلى بغداد ومنها إلى استانبول، وذلك عن طريق تسيير سفن خاصة لهذه الغاية أشرف على تسييرها الشيخ محمد الصباح[٣٤] أخو الحاكم والذي تولى إدارة امور الكويت في أثناء غياب حاكمها الشيخ عبد الله الذي توجه إلى ساحات القتال مع القوات الكويتية التي شاركت في

---

٣٠ أرشيف رئاسة الوزراء BDA ، إرادة داخلية 44320 وثيقة رقم 2.

٣١ الشيخ مبارك الصباح: هو سابع حكام الكويت، استمرت فترة حكمه ما بين ١٣١٣-١٣٢٤هـ/ ١٨٩٦-١٩١٥م، وهو مؤسس الكويت الحديثة، تولى الحكم بعد أخيه محمد، توفي أثناء الحرب العالمية الأولى.

٣٢ الشيخ جاسم آل ثاني(١٢٣٦-١٣٣١هـ/ ١٨٢١-١٩١٣م) مؤسس دولة قطر الحديثة تولى الحكم بعد والده عبد الله الذي توفي عام ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م.

٣٣ جمال زكريا قاسم، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، جـ٢، القاهرة،دار الفكر، ١٩٩٧، ص٢٢١.

٣٤ الشيخ محمد الصباح: وهو سادس حكام الكويت، تولى الحكم بعد وفاة أخيه عبد الله، حكم خلال الفترة ما بين ١٣٠٩-١٣١٣هـ/ ١٨٩٢-١٨٩٦م.

الحملة، فقام الشيخ محمد بتسيير سفينة شراعية كل أسبوع لنقل الأخبار عبر الكويت إلى الفاو والبصرة ومنهما إلى بغداد[٣٥]. ولزيادة الإطمئنان فقد طالب مدحت باشا بتعيين ساع يقوم بنقل البريد برا عن طريق الكويت[٣٦].

وإن كانت الوثائق العثمانية لا تذكر صراحة قيام سفن الكويت بنقل التعليمات من بغداد إلى الأحساء فإننا نستطيع أن نستنتج ذلك لأن السفينة إذا وصلت إلى البصرة لنقل معلومة ما فإنها لن ترجع خالية، ومن المفترض أنها كانت تزود ببعض الرسائل أو الردود على استفسار قائد الحملة أو كانت تلبي حوائج الجيش، وكان من الطبيعي أن يطلب من قائد السفينة الكويتي بان يحمل الرد إلى القوات العثمانية في الأحساء. ومما لاشك فيه أن موقع الكويت الجغرافي الواقع بين البصرة والأحساء ساعدها على القيام بمثل هذا الدور.

ولو تساءلنا هل كانت ستنجح الحملة لولا مساعدة الكويت، لاشك أن موقف الحملة العثمانية كان سيختلف تماما لو اتخذ حاكم الكويت موقفا مغايرا من العثمانيين، وكانت الحملة ستواجه عدة مخاطر منها:

أولا: كان على والي بغداد أن يجد البدائل الكفيلة بنقل الجيوش والمعدات العثمانية إلى سواحل الخليج العربي لإنزالها فيما بعد إلى اليابسة، وكان ذلك سيتعذر على العثمانيين وخاصة وأنهم كانوا يعانون من قلة السفن العثمانية العاملة في الخليج العربي. وتلافيا لهذا العيب فإن مدحت ألح على السلطات العثمانية عند بداية قدومه إلى بغداد في ضرورة شراء سفينيت تقومان بزيارة موانئ الخليج العربي بين فترة وأخرى.

وأدرك مدحت باشا أن غياب الدولة العثمانية عن الخليج هو الذي أعطى فرصة ذهبية للإنجليز للهيمنة على المنطقة، كما ساعد بلاد فارس على الإدعاء بتبعية البحرين لها. وأفاد بأن ذلك من شأنه أن يقنع مشيخات الخليج بوجود دولة

٣٥ أرشيف رئاسة الوزراء BDA ، إرادة داخلية 44320 وثيقة رقم 5.
٣٦ أرشيف رئاسة الوزراء BDA ، إرادة داخلية 44002 وثيقة رقم 1.

عثمانية قوية تستطيع أن تواجه الوجود الإنجليزي في مياه الخليج. إذا ساعد على جمع معلومات عن الوجود الإنجليزي في الخليج العربي ورفعها إلى السلطات العثمانية لوضع التدابير والخطط لمواجهة ذلك. واستجابت الدولة لتلك المطالب وقامت بشراء سفينتين هما بابل وآشور (أوآشور) للقيام بهذه المهمة في الخليج.[٣٧] ولكن حتى مع وجود هاتين السفينتين فهما غير كافيتين لنقل معدات حملة كاملة.

وفي ظل عدم وجود السفن الكافية لنقل الجيوش العثمانية ومعداتهم إلى ساحات القتال كان ذلك يتطلب من العثمانيين سلوك الطريق البديل وهو الطريق البري، وكان الطريق شاقاً ومملاً نظراً لطول المسافة التي كانت ستقطعها القوات العثمانية المرابطة في بغداد وهي الجيش السادس، فلك أن تتخيل حالة الجندي والأليات العثمانية عندما تقطع كل تلك المسافة التي تقدر بآلاف الكليومترات من بغداد إلى الأحساء، إذ كانت القوات ستصل إلى الأحساء وهي منهكة القوى، قد أضناها طول الطريق، وقطع الصحراء القاحلة التي كانت ستمر بها. وعند وصولها إلى الأحساء ستكون القوات العثمانية فريسة سهلة لقوات سعود الفيصل، وهذا ما حدث مع الجيوش العثمانية التي أرسلتن من بغداد وبلاد الشام للقضاء على الدولة السعودية الأولى، وكان مصيرها جميعاً الفشل.

ثانياً: مع وجود السفن العثمانية الكبيرة كانت الحملة غير قادرة على إيصال القوات والمعدات إلى سواحل الخليج، لأن معظم بلدان ومدن الخليج تمتاز بوجود موانئ طبيعية، وهذه الموانئ غير صالحة لرسو السفن الكبيرة والضخمة، وكان لابد من الاستعانة بسفن صغيرة الحجم تستطيع أن تدخل الموانئ لتفرغ حمولتها، لذا نجد أن السفن العثمانية الكبيرة التي شاركت في نقل المعدات والجنود لم تشارك في حصار موانئ الأحساء لأنها لا تستطيع الاقتراب منها، وإنما اكتفت بإطلاق قذائفها من بعد على تلك المدن والقلاع،

---

٣٧ أرشيف رئاسة الوزراء BDA ، إرادة مجلس مخصوص 1667، 1611.

وهنا جاء دور السفن الكويتية الصغيرة الحجم فساهمت في نقل الجنود العثمانيين إلى ميناء رأس تنورة، وفي حصار مدينة القطيف لأنها أخف وزنا، وأسرع وأقدر على القيام بمناورات عسكرية.

ثالثا: كان من المتعذر على السلطات العثمانية إبقاء الاتصال مفتوحاً ومستمراً بين القوات العثمانية في الأحساء وولاية بغداد بدون دور فاعل للكويت حيث إن طول المسافة يتعذر معه المحافظة على خطوط إمداد وتموين الجيش العثماني، وهذا يدفعنا إلى القول بأن الكويت ربما كانت هنا محطة رئيسية لتزويد الجيش العثماني بما يحتاج إليه من تموين ومواد غذائية، لأن عدد القوات المشاركة في الحملة بلغ قرابة ستة آلاف جندي، ولاشك في أن وجود هذا العدد الضخم يحتاج إلى خطوط إمداد وتموين مستمرة على مدار الساعة بين مركز الولاية في بغداد وإدارة العمليات العسكرية في الأحساء ونجد، وإن كانت الوثائق العثمانية المتعلقة بالحملة لا تشير إلى مسألة إمداد وتموين الجيوش العثمانية، ولكن هذا الأمر من البدهيات العسكرية التي لابد منها لضمان نجاح أية حملة. وإذا لم تكن الكويت المحطة الرئيسية في ذلك فلا شك في أن السفن الكويتية قد لعبت دوراً حيوياً وفاعلاً في هذا الميدان، ولاسيما إذا علمنا بأن منطقتي نجد والأحساء خرجتا عن الهيمنة العثمانية منذ وقت مبكر مع ظهور الدولة السعودية الأولى في القرن الثامن عشر.

رابعا: إن مشاركة الكويت في الحملة كان أمراً حيوياً ورئيسياً لإنجاحها حيث إن لأمير الكويت لو اتخذ موقفاً معادياً من الحملة لما وجدت هناك خطوط للإمداد والتموين للقوات العثمانية بالإضافة إلى أن ظهور العثمانيين ستكون مكشوفة للأعداء الذين بإمكانهم أن يفرضوا حصاراً بحرياً على القوات العثمانية المحاصرة للقطيف، وهذا لن يتأتى إلا لإمارة مثل الكويت كانت تمتلك أسطولاً لا يستهان به في ذلك الوقت. كما أن دخول القوات العثمانية عن طريق البر إلى صحراء نجد كان سيعرضها إلى حرب أشبه ما تكون

بحرب العصابات حيث كان بإمكان القبائل العربية التي تعرف طرق البادية معرفة جيدة بأن تتصيد الجيش العثماني في عدة أماكن، وان تقوم بمهاجمتها لأنها تعودت على طريقة الكر والفر في الحروب، وكانوا لا يحملون معهم إلا بندقية بسيطة ليكونوا خفيفي الحركة بعكس أفراد القوات العثمانية الذين كانوا يحملون معهم المدافع والآليات الثقيلة ، لذا فإن الكر والفر أو حرب العصابات تلائم ظروف الصحراء بشكل أفضل، وهذا ما اعتاده العربي في منطقته وهو غير الجندي العثماني القادم من بغداد إلى صحراء نجد.

وهذا يجعلنا ندرك أهمية مشاركة قبائل موالية لشيخ الكويت في صفوف العثمانيين، وأن تلك القوات البرية بعد أن تجمعت واكتمل عددها في الكويت خرجت تحت إمرة الشيخ مبارك الصباح الذي عاش الفترة الأولى من حياته في البادية ليتعلم معارفها ولاسيما في الرماية والفروسية، وقد استطاع أن يقيم علاقات وطيدة مع شيوخ القبائل البدوية[٣٨]. وعندماخرجت القوات البرية من الكويت كانت تعرف دربها معرفة تامة، كما كانت على علم تام بكيفية التعالم مع أبناء الصحراء إذا حدث أي أمر طارئ في الطريق.

خامساً: إن اختيار الشيخ عبد الله الصباح كمفاوض مع أعداء الدولة دليل على حنكته وخبرته السياسية، وعلى ما كان يتمتع به من مكانة وسمعة طيبة بين أمراء منطقة الخليج العربي، لذا نجده ينجح في إقناع الطرف الآخر بما يريده. ولاشك في أن هناك أمراء عرب آخرون كانوا يقفون بجانب العثمانيين إلا أن إصرارهم على ذهاب الشيخ عبد الله مع الوفد العثماني دليل على قوة شخصيته وقدرته على إقناع الآخرين بما يريده وفق مبررات عقلية ومنطقية، وهذا ساعد على تسهيل مهمة القوات العثمانية في الأحساء ومنطقة الخليج العربي. ولو لم يشارك شخص مثل الشيخ عبد الله في الحملة

---

٣٨ ظافر محمد العجمي، جيش الكويت في عهد الشيخ مبارك الصباح ١٨٩٦-١٩١٥م، ط١، د.م، ٢٠٠٠، ص٥٥.

فقد كان من المحتمل ان يطول بقاء القوات لفترات أطول، أو ربما فضّل أمراء سعود الفيصل مقاومة العثمانيين بدلاً من الاستسلام.

النتائج التى ترتبت على مشاركة الكويت فى الحملة

وبعد أن نجحت الحملة العثمانية عام ١٢٨٨ هـ/ ١٨٧١م فى استعادة نجد والأحساء من جديد تحت جناح الدولة العثمانية[٣٩]، أدرك مدحت باشا وهو السياسى البارع الدور الحيوى والرئيسى الذى لعبه أمير الكويت الشيخ عبد الله الصباح– والذى بيناه فيما سبق– فى مساندة الحملة وتقديم كافة الإمكانات والطاقات الكامنة لديه فى خدمة القوات العثمانية دون أن يتصيد الفرصة لفرض شروطه أو لتقديم طلب تلو الآخر فى وقت كانت فيه للدولة العثمانية بحاجة ماسة إلى خدماته، إن طبيعة وشخصية الشيخ عبد الله لم تكن من هذة الفئة من الناس، وإنما قدم كل ما قدمه وكل ما كان يمكه آنذاك ووضعه تحت تصرف الدولة العثمانية مجانا، ويشير مدحت باشا إلى أن الأسطول الكويتى بقى حتى انتهاء أمر الحملة[٤٠]، ولم يطلب شيخ الكويت أى ثمن مقابل ذلك، وليس هذا فقط وإنما ضحى بحياته وبحياة أخيه و مجموعة كبيرة من شباب بلده لخدمة الدولة العثمانية حين قرر المشاركة فى الحملة.

وهذا يدل دلالة قاطعة على أن الشيخ عبد الله الصباح ادرك أن وقوفه إلى جانب الدولة العثمانية إنما يمليه عليه إيمانه وقناعاته الشخصية بأن تلك الدولة مهما ضعفت فإنها تمثل دولة الإسلام ، وان من واجب كل شخص أن يسخر كل طاقاته وإمكاناته ويضعها تحت تصرفها دون أى مقابل.

وتقديرا موقف الكويت ومساهماتها الكبيرة فى الحملة العثمانية على الأحساء عام ١٨٧١م، فرفع مدحت باشا عدة مطالب إلى الدولة العثمانية بشأن الكويت من أجل أن يربط الكويت بالدولة العثمانية بروابط ووشائج أقوى وأمتن

---

٣٩ لمزيد من المعلومات حول هذه الحملة راجع: د.فيصل الكندري، المرجع السابق.
٤٠ علي حيدر بك، مدحت باشا: حياته- مذكراته- محاكمته، ص٢٤٣.

عما كانت عيه قبل أن يتولى ولاية بغداد وتتلخص مطالبه فى التالى:

١- الاستمرار فى منح شيخ الكويت لقب قائمقام، وللعلم فإن الدولة العثمانية من تقرر منح هذا اللقب بعد مشاركته فى الحملة، وإنما منحته هذا اللقب قبل الحملة، وربما كان ذلك أيام نامق باشا والى بغداد السابق، لأن الوثائق العثمانية التى كتبت فى أثناء الحملة وبعدها[٤١] كلها تتفق على أن شيخ الكويت كان يحمل لقب قائم مقام وهى تورد العبارة التالية:"كويت قائمقامى شيخ عبد الله الصباح" أى "قائم مقام الكويت الشيخ عبد الله الصباح"، ولم أجد إلا وثيقة واحدة تطالب بإسناد لقب قائم مقام لشيخ الكويت بشرط تحقيق الأمن[٤٢].

وكان هذا لقبا تشريفيا، حيث لم يقترن بهذا اللقب أية التزامات يقوم بها حاكم الكويت إلى الدولة العثمانية، ولا يعنى هذا القب أى شكل من أشكال التبعية سواء كانت فعلية أو اسمية، لأن شيخ الكويت حمل ها اللقب قبل الحملة، ومع لك لا تشير الوثائق العثمانية– رغم كثرتها– إلى صدور أى فرمان عثمانى يأمر شيخ الكويت أو يطلب منه المشاركة بالحمة كونه تابع للعثمانيين، أو كونه موظف عثمانى، ودم صدور مثل هذا الفرمان دليل عى عدم تبعية الكويت إلى الدوة العثمانية، وبالتالى فإن مشاركة شخ الكويت فى احملة لم تكن بسبب أوامر صدرت إليه من السلطان اعثمانى أو من والى بغداد، وإنما بسبب دوافع وقناعات شخصية[٤٣].

٢- أرسل مدحت باشا برقية إلى الصدارة العظمى طالب فيها بتوجيه رتبة الاسطبل العامرة إلى حاكم الكويت الشيخ عبد الله الصباح، ومنح نشانين مجيدين

---

٤١ انظر على سبيل الوثيقة التي تحدث فيها مدحت عن وصول القوات العثمانية إلى الكويت وأن شيخها ورجالاتها خرجو إلى البحر لاستقبال القوات العثمانية بالفرح وذبح الخراف. لرشيف رئاسة الوزراء BDA ، إرادة داخلية 44002 وثيقة رقم 4.

42 BDA, Ayniyat 851, s27 no2.

٤٣ غيورغي بوندار يفسكي، الكويت وعلاقاتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ترجمة ماهر سلامة، الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، ١٩٩٤، ص٨٢.

من الرتبة الخامسة لأخويه مبارك ومحمد لدوريهما فى مساندة القوات العثمانية فى أثناء حملة الأحساء[٤٤]. ورفعت السلطات العثمانية عريضة إلى السلطان العثمانى فى١١ جمادى الأولى سنة ١٢٨٨ هـ/٣٠ يونيه ١٨٧١م، ووافق عليها السلطان العثمانى بعد يومين أى فى ١٣ جمادى الأولى[٤٥].

٣- تحدث مدحت باشا عن الكويت فى مذكراته التى نشرها ابنه على حيدر ومن ضمن ما ذكره عن الكويت نورد التالى:"... فقد دعاهم مدحت باشا، وأعفاهم من الرسوم الجمركية وغيرها من التكاليف الأميرية... ودعا عبد الله بن الصباح بقائممقام الكويت، وأبقاه كما كان وأبقى غيره من الموظفين أيضا، ولم يغير شكل حكومتهم[٤٦]".

ومن الفقرة السابقة نستخلص ما يلى:

- أن الكويت قضاء مستقل، يتوارث الحكم فيها أسرة آل الصباح، على أن يكون الشيخ مستقلا فى شئونه الداخلية والخارجية، وهذا ما نستشفه من قول مدحت باشا بأنه" لم يغير شكل حكومتهم".
- لا يلتزم أهالى الكويت بدفع أية رسوم أو ضرائب للباب العالى. ان قبول الكويت بماعرضه عليه مدحت باشا كان مشروطا بعدم دفع أية تكاليف إلى السلطات العثمانية.
- إلزام السفن الكويتية برفع العلم العثمانى، مع إعفائها من الرسوم[٤٧]، لأن السفن الكويتية كانت تصل إلى الهند وشرق أفريقيا، وسواحل بحر العرب، وكانت تتاجر مع البصرة لذا فإن رفع راية الدولة بمثابة هوية لها، وللاستفادة

---

٤٤ أرشيف رئاسة الوزراء BDA ، إرادة داخلية 44320 Irade Dahiliye وثيقة رقم 4.

٤٥ أرشيف رئاسة الوزراء BDA ، إرادة داخلية 44320 وثيقة رقم 6 ؛ BDA, Ayniyat 851, s119 no1.

٤٦ على حيدر بك، مدحت باشا: حياته- مذكراته- محاكمته، ص ٢٣٩.

٤٧ أحمد الرشيدي وآخرون، الكويت من الإمارة إلى الدولة، ص ١١١-١١٢.

من الاتفاقيات التجارية المبرمة بين الدولة العثمانية وبريطانيا كتخفيض نسبة الرسوم مثلا وغيره.

٤- عندما وصل مدحت باشا إلى بغداد وجد أن هناك اراضي زراعية شاسعه مهملة، ولا يستفاد منها بشيء، وفكر بطريقة للاستفادة منها فأخذ يوزعها على رؤساء القبائل والعشائر ليكسب بها ولاءهم، وليقوموا باستصلاحها وبرر عنها، ومن ثم دفع الضرائب المترتبة عليها للدولة، وبهذا استطاع أن يحقق عدة اهداف في آن واحد، ومن هذا المنطلق منح شيخ الكويت أراضي زراعية في الفاو تنفيذا لهذة السياسة. وتشير الوثائق العثمانية بأن مدحت باشا منح الشيخ عبد الله الصباح مساحات كبيرة في ناحية تعرف باسم تجر في منطقة الفاو لمدة سبع سنوات، وقدرت إيرادات تلك الأراضي بقيمة ١١,٥٠٠(أحد عشر ألفا وخمسمئة) قرش.

والجدير بالذكر أننا لا نقصد بالمساحات الزراعية أنها كانت بساتينا مثمرة، كما هو الحال في حدائق ذات بهجة يتغنى بها الشعراء والأدباء، وإنما كانت أرضا بور ، فقام شيوخ الكويت باستصلاحها، وجلب المياه لها، واختاروا أجود انواع النخيل لزراعتها حتى غدت بعد فترة أراض مثمرة، وغدت مزارع الكويتيين مثالا يحتذى به وإن امتلاك الكويتيين للأراضي الزراعية في البصرة لم يقف عند حد معين، وإنما أخذ تجار الكويت فيما بعد يتسابقون على شراء مثل تلك الأراضي، وحدث ذلك عندما بدأت العائلات الكويتية تشتري الأراضي منذ عام ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م، وأنفقوا عليها مبالغ كبيرة حتى تصبح مثمرة، وبلغ مجموع الأراضي المستملكة للكويتيين حوالي ١٨٦٥٠ جريبا(والجريب يعادل ٣٩٦٧ متر مربعا)[٤٨].

---

٤٨ كان ذلك في النصف الأول من القرن الماضي، وكانت تلك الأراضي تعد بخلا كبيرا قبل اكتشاف البترول، لذا أسالت تلك المبالغ لعاب الحكومات العراقية، فأخذت تميطر حتى وضعت يدها على معظم ممتلكات الكويتيين في جنوب العراق. لمزيد من المعلومات حول ممتلكات الكويتيين راجع: يوسف بن محمد النصف، نخلتك، ط٥، الكويت، ١٩٩٧، ص٣٣-٥٥.

٥- كنا قد ذكرنا أن السلطات العثمانية وافقت على دفع المبلغ المذكور من خزينة ولاية البصرة لشيخ الكويت نظير قيامه بحماية ميناء البصرة، ولسبب أو لآخر قامت تلك السلطات بإيقاف ذلك فترة من الزمن، ولما جاء مدحت باشا قرر إعادة صرف ١٥٠ كارة من تمور البصرة لشيخ الكويت نظير خدماته المجانية ومشاركته بنفسه في حملة الأحساء، ورفع هذا الطلب إلى وزارة المالية لاتخاذ اللازم، ووافق مجلس شورى الدولة، والسلطان العثماني على هذا الطلب في رجب عام ١٢٨٩هـ/ سبتمبر ١٨٧٢م[٤٩].

٦- جرت العادة عند العثمانيين إعطاء رؤساء القبائل وشيوخ العشائر خلعا (وهي ما يعرف حاليا باسم البشت) لكسب تأييدهم وضمان ولائهم للدولة، ولكن تشير الوثائق العثمانية إلى أن شيوخ الكويت يختلفون عن غيرهم ولا يمكن مقارنتهم برؤساء القبائل الأخرى لذا وجب تكريمهم بشيء خاص على قدر مكانتهم عند الدولة، ورفعت الدولة من قيمة تلك الخلع التي تصرف لشيوخ الكويت لتبلغ سبعة وعشرون ألفا وثمانمائة وكسور قرش من ضمن ميزانية ولاية البصرة وذلك في عام ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م[٥٠].

٧- إن الناظر في الوثائق العثمانية يستنتج بأن الكويت كانت تعمل معاملة خاصة بسبب الدور الحيوي الذي قامت به في خدمة ومساندة الدولة، لذا لم تحاول الدولة العثمانية أن ترسل أية قوات عثمانية لترابط في الكويت على الرغم من الإرتباط الوثيق الذي لمسناه بعد الحملة، وإنما اصرت السلطات العثمانية على عدم المساس باستقلالية الكويت. وهذا خلاف ما حدث مع قطر مثلا حين ارتبط حاكمها جاسم آل ثاني بالدولة العثمانية مساعي الشيخ عبد الله الصباح الذي نجح في إقناعه برفع الراية العثمانية بعد نجاح الحملة العثمانية على الأحساء عام ١٢٨٨هـ/١٨٧١م، فبادرت الدولة العثمانية إلى إرسال حامية عثمانية مكونة من مائة جندي وعدد من المدافع إلى قطر لتأكيد تبعيتها للدولة العثمانية[٥١].

---

[49] BDA, Ayniyat 851, s163 no2 & s? no1.

[50] BDA, Ayniyat 851, s243 no1.

٥١ لمزيد من المعلومات حول الدوافع التي دفعت جاسم آل ثاني لقبول السيادة العثمانية راجع: فيصل الكندري، المرجع السابق، ص٧١-٧٦.

الخاتمة

رأينا فى هذة الورقة كيف ان اكويت كانت تدفع رسوماً للدولة العثمانية نظير رفع العلم العثمانى، ولكن هذا الأمر لم يستمر طويلا إذ سرعان ما كانت الدولة العثمانية بحاجة إلى خدمات شيخ الكويت كثيرا للاستفادة من أسطوله فى حماية ميناء البصرة من تعديات القبائل البدوية الموجودة فى جنوب العراق، وفى المقابل قامت السلطات العثمانية بدفع مبالغ سنوية لشيخ الكويت.

وفى النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى حاولت الدولة العثمانية تقوية هيمنتها على منطقة الخليج عن طريق خلق إدارة قوية ، فارسلت حملة على الأحساء عام ١٢٨٨هـ/١٨٧١م ونجحت الحملة فى إعادة السيطرة العثمانية على نجد والأحساء بفضل المساعدات التى قدمها شيخ الكويت للحملة العثمانية، وفى المقابل استفادت الكويت كثيرا من تلك المساعدة وأدى ذلك إلى توثيق الروابط بين الكويت والدولة العثمانية والتى استمرت لسنوات بعد الحملة. وأوضحت الدراسة أن الكويت كانت تتمتع بالاستقلال عن الدولة العثمانية منذ فترة مبكرة.

ولكن لم يستمر اهتمام الدولة العثمانية بالخليج العربى كثيرا فسرعان ما انشغلت الدولة بحروبها فى البلقان، فتعرض وجودها العسكرى للتدهور بسبب كثرة تمرد القبائل على الحكم العثمانى، بسبب جهل ولاة بغداد فى كيفية التعامل مع أبناء منطقة الخليج، ولم يأخذوا بالإصلاحات الكبيرة التى قام بها مدحت باشا، وأهملوا المنطقة فكانت عرضة لانتشار الأوبئة والأمراض[٥٢]، ولهيمنة قوى أوروبية أخرى وجدت الطريق أمامها مفتوحا لتسيطر على الخليج العربى وشبه الجزيرة العربية.

٥٢ أحمد الرشيدي وآخرون، الكويت من الإمارة إلى الدولة، ص١١٣.

الملاحق

الأرشيف البريطانى

Kuwait Political Agency, Arabic Documents, Archive Edition, 1994, p580 (R.15.5.59)

بسم الله

مضمون هذة الأحرف بانى انا يا صباح ابن جابر بنهايتى عن ابى جابر ابن عبد الله الصباح حاكم الكويت قد رضيت وقبلت عن نفسى وعن رعاياى والمتعلقين على بالقرار الذى قرره جناب ذى الشوكة والإجلال الأفخم القبطان هل باليوز خليج فارس مع مشايخ العرب المصالحين من استقامة المهادنة والصلح عن صدور التعديات والتعرضات فى البحر وان لا لى حرب ولا جدال فى البحر مع جميع مشايخ العرب الداخلين فى سلك الصلح المهادنة مع جناب ذى الاقتدار والمفاخر السركار الالفرنسى (الفرنسى) الأفخم وان اصون رعاياى والمتعلقين على من التعدى والتعرض على سائر الطوايف المصالحين فى البحر، وإن لا قدر الله تعالى أحد تجرأ وتعرض رعاياى والمحبوسين(المحصورين) على فى البحر فلا يكون فروا اقوم لأخذ القصاص والانتقام بل ألتزم برفع الأمر لجناب عالى الجاه الباليوز صاحب المذكور حتى يقوم بلازم التنبيه والقصاص بعد تحقيق الأمر واجريت مع جناب المشار إليه مضمون ما ذكر من حين التحرير الذى هو غرة ربيع الأول سنة ١٢٥٧هـ إلى مدة سنة كاملة هذا والله خير الشاهدين.

صباح عبد ابن جابر

الوثائق العثمانية المترجمة

عينيات 851 ص 20 وثيقة رقم 3

تقرر إقامة جمرك فى موضع يسمى الكويت يقع بين البصرة ومسقط ويمثل مفتاح البصرة، وهو مدخل ومخرج للأشياء المهربة، وقد تم إرسال قوانم بالرسوم وخلافه الموجودة فى الجمارك الاخرى وختما جمركيا الى مشيخة الكويت التى سيدار بمعرفتها، إلا أنه قد لوحظ قيامهم ببعض الأعمال المخالفة للنظام نظرا لجهلهم بقواعد ونظم الجمرك، وبناءا على ذلك وردت مذكرة من أمانة الرسوم بخصوص استفساركم عن حقيقة الأمر من أجل تعيين وإرسال موظف إلى هناك فى الوقت كان يؤمل فيه تحقيق إيرادات. وغنى عن البيان أن حاصلات الرسوم تعد أحد الإرادات المهمة للخزينة الجليلة ، لذا يلزم حسن إدارتها وحمايتها، وليس من شك فى أن تعاملكم فى هذا الشأن سيتم البناء على هذا الهدف.

ونظرا لأن إدارة هذا النوع من الرسوم بأداة مخصوصة وخبيرة سيكون من مقتضيات الأصول المرعية فإنه فى حالة القيام بالتحقيقات اللازمة على النحو المذكور، ووصول تحصيل الإيرادات العامة إلى الدرجة المطلوبة فعليكم إعتبار إخبارنا بحقيقة الأمر. والأمر فى هذا الشأن لسيدى. فى ٢٣محرم ١٢٨٤.

عينيات 851 ص 27 وثيقة رقم2

بناء على التحريرات الجوابية التى تتضمن بعض الإفادات بشأن تأجيل الجمرك المزمع إنشاؤه فى موضع يسمى الكويت فقد تم الاتصال بأمانة الرسوم فى هذا الشأن، ونظرا لما ورد

فى البرقية السابقة من ناظر الرسوم فى بغداد فى هذا الشأن من مرور الحيوانات التى تصدر من البصرة إلى البلاد الأجنبية عبر الكويت دون رسوم، وقرار إقامة جمرك فى الموضع المذكور على النحو السابق، وبناءا على القرار الصادر بتعيين وإرسال موظف إلى هناك براتب الف قرش لتحصيل الرسوم عن الحيوانات، وتعيين كاتب أيضا براتب خمسمائة قرش.

فقد تم الاستئذان بالتنفيذ، وأرسل إلى شيخ الموضع المذكور تعريفة الرسوم والتعليمات، ولكنه رد بأن الأهالي لم يوافقوا على إقامة الجمرك المذكور، وإذا أصر على موقفه فسيكون من الضرورى إرسال قوة عسكرية إلى هناك. ولهذا فقد لوحظ بأنه من المناسب تأجيل هذا الموضوع الآن، وفى حالة إقرار لاحقا فسيتم إبلاغكم بعمل اللازم، وقد بدى هذا للمصلحة والحال. وتعد الأمانة المرجع الرسمى فى هذا وقد بدى هذا مناسبا للمصلحة والحال. وتعد الأمانة المرجع الرسمى فى هذا الشان وفى الأمور الخاة بالرسوم والجمرك، وعندما يلزم الأمر عمل شىء جديد وأساسى يتم الاخبار أولا، ولأن الأمر يستلزم انضباط الإدارة فذلك منوط بمجهوداتكم، والأمر لحضرة سيدى. فى ٢٢ جمادى الآخرة ١٢٨٤هـ.

عينيات 851 ص 162 وثيقة رقم 3

ورد فى برقيتكم أنه تقرر إسناد الحصة الميرية فى البساتين التى يتولاها قائم مقام الكويت عبد الله الصباح فى كنار تجر فى اللواء وقدرها احد عشر ألفا وخمسمائة قرش عن عام ٨٧ إلى عهدة المذكور مدة سبع سنوات بشرط دفع المبلغ المذكور كل عام، وتطلبون الإذن فى ذلك، وإذا ظهر مخالفة الأصول فى الإلتزام بالإيرادات المأمورية، فنحن الحكومة ستراجع المذكور للإستفادة من رأيه ومعاونته فى أمر الإصلاحات هناك مثلما اتصف بحسن الخدمة فى السابق فى الاستيلاء على منطقة نجد طبقا للإشعار والمعلومات الواردة.

وقد رؤى من المناسب تكريمه ليتماشى مع المصلحة ، وإسناد البدل المقرر للحصة الميرية على النحو الموضح ولمدة سبع سنوات إى عهدته، وتحويل الامر إلى وزارة المالية لقيام الخزينة بالتنفيذ. فى ٥ رجب ١٢٨٩.

عينيات 851 ص 163وثيقة رقم 2

وردت برقية من ولاية بغداد بخصوص إعطاء مشايخ الكويت الواقعة فى الولاية المذكورة محصول المائة واربعين صغيرا من النخيل (يوز قرق صغير كاره خرما) المخصصة سنويا من حاصلات لواء البصرة ، وقد قدمت البرقية المذكورة مع مذكرة وزارة المالية فى هذا الشان إلى مجلس شورى الدولة.

ونظرا للإشعار الوارد فإن المخصصات تعدل محصول بساتين الكويتيين التى تم الاستيلاء عليها سابقا فى البصرة، وعندما تم الاستيلاءعلى الموضع المذكور فى الماضى، علق هذا العطاء على الإيفاء بالشروط التى عرضت عليهم، ونظرا لتحقق معظم هذة الشروط، ولحسن خدمة قائم مقام شيخ الكويت عبد الله الصباح بحرا، وأخيه مبارك برا وبالمجان، فإنه يلزم إعطاء مقابل هذة الخدمات نقدا، ولكن لأن الأمر يتطلب إعطاءهم الكثير من الأشياء مقابل هذة الخدمات.

فقد تقرر إعطاؤهم مقابل هذا كله مائة وخمسين طنا من التمر عينة سنويا من الإيرادات المحلية المقيدة أو طبقا للقواعد السابقة، وإيصال المقدار الذى توقف فترة بناء على هذة القواعد، وإعطاء سند للقائم مقام المذكور، وإسناد منصب القائم مقام إليه شرط تحقيق الأمن، وقيامه بالخدمات اللازمة، كما ورد فى إشعار اوزارة المذكورة إعطاء عبدالله الصباح المذكور سنويا بدل الكمية المقررة له وقدرها مائة وستة عشر صغيرا من التمر بالسعر المتداول من أموال اللواء المذكور. ونظرا لما اكده الإشعار من حسن خدمة المذكور فى مسألة نجد مالا وبدنا فإنه

لائق بالتكريم، والقدر المخصص من التمر لن يقرر ثانية، فقد كان يأخذه من البصرة في السابق، ثم توقف فترة من الوقت، ثم أعيد صرفه مكافأة لخدماته.

وقد روى من المناسب إعطاء المخصصات السابقة والاحقة طبقا للحساب المذكور ويبلغ مائة وخمسين طنا من التمر سنويا من أموال اللواء المذكور. وقد تم إحالة الموضوع إلى وزارة المالية لعمل اللازم. في ٢٥ رجب ١٢٨٩.

عينيات 851 ص 16 وثيقة رقم2

إلى ولاية بغداد

ورد إشعار من ولاية بغداد بخصوص إعطاء شيوخ الكويت محصول التمر البالغ مائة وأربعين كاره صغيرة من حاصلات لواء البصرة سنويا (سلوى مخصص أولان بوز قرق صغير كاره خرما محصولاتدن) مقابل حاصلات البساتين الخاصة بالكويتيين التابعين لولاية بغداد(بغداد ولايتى داخلنده كائن كويتلولرن مقدما) التى سبق الاستيلاء عليها في البصرة، ونظرا لتحقق معظم الشروع التى تم عرضها أثناء السيطرة على الموضع المذكور، وما قام به عبد الله الصباح قائم مقام الكويت من الخدمة الحسنة مالا وبدنا في مسألة نجد، ولزوم إصدار أمر رسمي للمذكور بإعطائه مائة وخمسين طنا من التمر(يوز الى تونيلاتنو خرما) من أموال اللواء المذكور سنويا مقابل المخصصات السابقة مكافأة على خدماته.

فقد تم الاتصال بوزارة المالية، ووافق مجلس شورى الدولة، وجناب السلطان على ما جاء في إشعار الولاية، وأبلغت وزارة المالية بإصدار الأمر العالي، وإرساله إلى الولاية المذكورة. في ٢٣ رجب ١٢٨٩.

عينيات 851 ص 243 وثيقة رقم 1

إلى ولاية البصرة

بناء على الإشعار الوارد من طرفكم بخصوص تسوية بمبلغ خمسمائة قرش من المصاريف الخاصة من مبلغ السبعة والعشرين ألفا وثلاثمائة وكسور قرش لشان الخلع التى اكسيت واعطيت لمشايخ الكويت، وبخصوص المبلغ المتبقى، وبناءا على ما اتضح من مضبطة مجلس شورى الدولة، وبناءا على الاتصال الذى جرى مع وزارة المالية، فإنه جرت العادة قديما بإعطاء موظفي الدولة خلعا وشيلاتا لرؤساء العشائر والقبائل.

ونظرا لأن المشايخ المذكورين لا يقارنون برؤساء القبائل الأخرى ، فإنه من سبيل توثيق تبعيتهم وارتباطهم بالسلطنة السنية، لزم إعطاؤهم أشياء مثل الخلع والألوية، وبناءا على هذا، وبعد الاستئذان فقد صدرت الإرادة السنية السلطانية بخصوص حساب الخمسمائة قرش التى دخلت ضمن موازنة ولاية البصرة من المبلغ المذكور، وتسوية المبلغ المتبقى وهو ستة وعشرون ألفا وثمانمائة وخمسة وستون قرشا أيضا من الأموال المحلية، وإبلاغ وزارة المالية لعمل اللزم. في ٢٥ جمادى الأولى ١٢٩٣.

مضمون هذه الاحرف بانى انا مبارك صباح بن جابر بنا عتب عن ابى جابر بن عبد الله
الصباح حاكم الكويت قد رضيت وقبلت على نفسى عن رعاياى والمتعلقين على
بالقرار الذى قرره جناب ذى الشوكة والاجلال الاجل الافخم الضبطان مل بالبيوز
خليج بمبارس مع مشايخ العرب الصالحين من استقامة المهادنة والصلح عن جميع
المتدايات والتعرضات فى البحر وان لا لى حرب ولا احتيال فى البحر مع جميع مشايخ
العرب الداخلين فى سلك الصلح والمهادنة مع جناب ذى الاقتدار والمفاخر
النوبار الالتفريسيا الافخم وان اصون رعاياى والمتعلقين على عن التعدى والتعرض
على مناكير الطوايف المصالحين فى البحر وان لا قدر الله تعالى احد تجرى وتعرض رعاياى
والمحبوسين على فى البحر فلا يكون فرد اقدم لاخذ القصاص والانتقام بل التزم برفع
الامر لجناب عالى الجاه البالبوز صاحب المذكور حتى يقرر ما يلزم التنبيه والقصاص
بعد تحقيق الامر واجريت مع جناب المشار اليه مضمون ما ذكر من حين التحرير الذى
هو غره ربيع الاول سنة ١٢٥٧ له الى مدة سنة كاملة هذا والله خير الشاهدين

صباح
عبد
ابن جابر

Kuwait Political Agency, Arabic Documents, Archive Editions, 1994, p.580
(R.15.5.59)

عنایات ۸۵۱